جهود

العلامة حافظ بن أحمد الحكمي

المتوفى عام ١٣٧٧ هـ

رحمه الله تعالى

في العقيدة وشيء من سيرته

للشيخ الدكتور

محمد بن هادي المدخلي

www.bestnationnw.com

تراث الشيخ الدكتور محمد بن هادي المدخلي

بسم الله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله

تمَّ هذا العمل من خلال شبكة خير أمَّة وتحت مشروع :

(كُتب أهل السُّنَّة والجماعة).

www.bestnationnw.com

للاستفسار وتصحيح الأخطاء إن وجدت التَّواصل عبر الايميل:

Mhmodrafd4@gmail.com

ويمكنكم الـمساهمة في طباعة الكتب السُّنية للتوزيع

الـمجاني عبر التواصل عبر التلجرام :

https://t.me/Mahmoudalkatab

TR500020500009663060900005

Mahmood Rafıd Abed abed

فإنَّه لـمن دواعي السُّرور أن توجَّه إليَّ دعوةٌ شريفةٌ غاليةٌ على نفسي، وذلك لشرف الـموضوع الذي تتعلَّق به، هذه الدَّعوة من مكتب الدَّعوة والارشاد بمدينة النَّبيِّ ﷺ، للحديث حول موضوعٍ حبيب وعزيز على نفوسنا جميعًا وعلى جميع الـمُسلمين، ذلكم الـموضوع هو حياة الإنسان الحقيقيَّة - أعني به العقيدة الصَّحيحة -، والعقيدة الصَّحيحة إنَّما قامت برجالٍ نذروا أنفسهم لها، ووهبوها لهذه العقيدة، مُضحِّين في كُلِّ ذلك، بكلِّ ما يملكون، بالنَّفيس والغالي الثَّمين من الأوقات والأعمار والأموال، ويرون ذلك قليلاً، لأنَّهم ينتظرون ثوابًا جزيلاً من الله تبارك وتعالى، فأعلام أهل السُّنَّة، حملة العقيدة الصَّحيحة الـمُوروثة عن رسول الله ﷺ وأصحابه لهم مكانة في نفوس الـمُسلمين، الذين عرفوا هذا الدِّين معرفة حقيقيَّة، وتذوَّقوا حلاوته، وشربوا من

صافي نميره، فأضاء لهم الدَّرب وأنار لهم الطَّريق، فاقتدوا في ذلك كُلِّه برسول الله ﷺ، فإذا ذُكرت العقيدة الصَّحيحة ذُكر أعلامُها بعد أصحاب رسول الله ﷺ، الذين قاموا بنصرتها على مرِّ العصور والدُّهور، وفي مختلف الأقطار والأمصار، فهؤلاء إذا ذُكروا اشرأبَّت الأعناق وأصغت الآذان إلى سماع سيرهم، ومن هؤلاء الأئمَّة الأعلام في عصرنا الحديث: هو صاحب الفضيلة الشَّيخ العلَّامة الـمحدِّث الحافظ الفقيه الـمُحقِّق الأصوليُّ الـمُتقن النَّحويُّ اللغويُّ الـمُؤرِّخ الشَّيخ حافظ بن أحمد بن علي بن أحمد الحَكَمي، رحمه الله وجميع عُلماء الإسلام، هذا الرَّجل طار صيته وذِكرُه في الآفاق وشرَّق وغرَّب، وله جهودٌ مشكورة وأعمالٌ مبرورة، وآثارٌ واضحة في الكُتب مسطورة مزبورة، لا يزال النَّاس يرتشفون منها ويستفيدون منها إلى يومنا

هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، هذا العَلَم العظيم دُعيت إلى إلقاء كلمة عن جهوده رحمه الله في العقيدة، وجهوده وجهود أمثاله لا يكفيها نصف ساعة أو ساعة، ولا يكفيها ساعتان، بل الإنسان إذا أراد أن ينظر إلى جهوده حقًّا فليقرأ ما كَتَب؛ إن لم يكن قد التقى بمن عاش معه وتتلمذ على يديه وأصغى إليه وأخذ عليه فلا أقلَّ من أن يقرأ كُتبه، فحينئذٍ سيجد مِصداق ما أقول، فهذا الرَّجل رحمه الله لم يعش حياة طويلة، وإنَّما حياته الطويلة باعتبار ما خلَّف وورَّث وإلَّا فهي باعتبار الأيَّام قصيرة، وكم من النَّاس عُمره قصير، ولكن أثره عظيم وكثير، وكم من النَّاس عمره طويل، ولكن أثره لا يُذكر، هذا إن نجى كَفافًا لا عليه ولا له، وشيخنا رحمه الله من الصِّنف الأوَّل، مِمَّن قصر عمره وكثر علمه وخيره، وشاع فضله، وانتشرت في النَّاس

آثاره النَّافعة، فهذا الشَّيخ كما سمعنا حافظ بن أحمد بن علي بن أحمد الحكمي، أحد أعلام هذه البلاد في المنطقة الجنوبيَّة رحمه الله ولد ونشأ وترعرع وتلقَّى العِلم، وتوفِّي بمكَّة المكرَّمة بعد حجِّ عام سبعة وسبعين وثلاثمائة وألف، فقد ولد آخِر ليلة أربع وعشرين من رمضان عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف لهجرة النَّبيِّ ﷺ، فإذا كانت ولادته في عام اثنين وأربعين ووفاته في آخِر سبعة وسبعين فكم يكون عمره؟، إنَّ عمره مقارنة بأعمارنا قصير، لكن أثره كبير رحمه الله؛ إذ عاش خمسةً وثلاثين عامًا و شهرين وأربعة وعشرين يومًا، هذه مدَّة حياته، وإن شئت قل خمسة وثلاثين وثلاثة أشهر تقريبًا، لكن بالتحديد هو هذا، هذا عمره، وما مات رحمه الله إلَّا وقد خلَّف العِلم الكثير، وسنأتي إن شاء الله تعالى بمُختصرٍ لحياته، إذ لا

يَحسن أن نتكلَّم عن أثره ونحن لا نعرف كيف نشأ في الجملة ودرج وتخرَّج حتَّى وصل إلى ما وصل إليه، فأينعت ثمار شجره وأصبحنا نقتطف منها هذا الثَّمر الـمُبارك، فالشَّيخ رحمه الله ولد بقرية تُسمَّى بقرية السَّلام، والسَّلام هذا في لغة العامَّة عندنا في الـمنطقة الجنوبيَّة، وفي منطقة جازان بالأخص يطلقونه على شجر السَّلم، إذ كانت قريته هذه يحفُّ بها شجر السَّلم من جميع الجهات ويغلب عليها، فولد في هذه القرية وهي تابعةٌ لـمدينة الـمضايا الَّتي تعدُّ حاضرة قبيلة الحكـميِّين، فالشَّيخ من الحكميِّين، والعامَّة عندنا يقولون عنهم الحَكَامِيَة، فالحكميُّون منسوبون إلى الحكم بن سعد العشيرة فرعٌ من مذحج وهم من أشهر القبائل إذ ينتسبون إلى كهلان بن سبأ، فولد في هذه القرية في آخِر رمضان كما قلنا، وهذه القرية تبعد عن

مدينة جازان ما يقارب الخمسة وعشرين كيلومترًا إلى الجنوب الشَّرقي، ثمَّ انتقل بعد ذلك مع أُسرته؛ مع أبيه وأمِّه وأخيه الأكبر منه، صاحب الفضيلة الشَّيخ العلَّامة محمَّد بن أحمد الحكمي، انتقل معه إلى قرية الجاضع، وقرية الجاضع هذه تُدعى بجاضع بني شبيل، الشُّبيليُّون أبناء شبيل بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ولا يزال مِخلافُهم معروفًا إلى يومنا هذا، وقصبته وحاضرته مدينة صامطة الَّتي أنا منها، فالشَّاهد انتقل إلى هذه القرية، وهي تبعدعن مدينة صامطة قرابة أربعة كيلو مترات أو خمسة كيلو مترات، فنشأ بها لأنَّ والده كان أكثر مصالحه بهذه القرية، فأراضيه الزِّراعيَّة وما يتعلَّق بأعماله كانت في هذه القرية، فنشأ مع أسرته في هذه القرية في صغره حتَّى مَيَّز، فلما مَيَّز التحق بأخيه في رعي الغنم، أخوه الشَّيخ محمَّد بن أحمد الحكمي أكبر

منه سنًّا، وهو أوَّل شيخ له تعلَّم على يديه، وقد ولي إدارة الـمعهد العلمي من عام سبعة وسبعين بعد أن توفِّي الشَّيخ حافظ رحمهما الله حتَّى توفِّي رحمة الله عليه قبل قرابة سبع سنين أو ثمان سنين، فالشَّاهد التحق بأخيه في رعي الغنم، وكان أخوه محمَّدًا قد التحق بِكُتَّابٍ في هذه القرية، فقرأ حروف الهجاء في يوم واحد، وأتقنها حفظًا وكتابة، أيضًا كان ذكيًّا، ثمَّ في اليوم الثَّاني قرأ مِن القرآن ما تيسَّر من قصار الـمُفصَّل، وليس كالصِّغار، فالصَّغير يُعطى السُّورة والسُّورتين، وهذا أخذ ما يُقارب العشر سور فحفظها في حينه، فواصل بعد ذلك القراءة، والشَّيخ حافظ أصغر منه، فكان يقرأ في الكُتَّاب، وحاجة النَّاس في ذلك الحين وضعف حالهم تمنع من إلحاق أبنائهم وأولادهم عمومًا - ذكورًا وإناثًا - بالكُتَّاب تعلُّمًا وتعليمًا، لأنَّهم يـحتاجون للصَّرف عليهم، فلنحمد الله

جلَّ وعلا على هذه النِّعمة الَّتي نحن فيها، فإنَّ الـمُتعلِّم اليوم يتعلَّم ويُصرف له الـمعيشة، في السَّابق تصرفه الـمعيشة عن التَّعلُّم، لأنَّه لا يجد ما يُقدِّمه للمُعلِّم، ولا يزال في كثير من بلدان الـمسلمين إلى الآن يُصرف على الـمُتعلِّمين والطلبة، فعندنا هذه النِّعمة الَّتي كثيرٌ من أبنائنا بل ومن إخواننا يغفل عنها ولا يقدرها حقَّ قدرها، فالشَّاهد تلقَّى الشَّيخ محمَّد تعليمه الأوَّلي فأتقن القراءة والكتابة، فوصل أوَّل ما وصل إلى سورة الفجر، مع إتقانه للكِتابة والقراءة إتقانًا بمعنى كلمة الإتقان، فكان بعدما يأخذ الدَّرس في الكُتَّاب يعود إلى البيت فيُعلِّم أخاه حافظًا، فيقول رحمه الله: إنَّ حافظًا كان على درجة من الذَّكاء أشدُّ مِمَّا كنت أتصوَّر، فما مرَّت إلَّا أيَّام يسيرة تقلُّ عن الأسبوع حتَّى أصبح الشَّيخ يستطيع القراءة في الـمصحف بنفسه، فعجب الشَّيخ محمَّد من

هذا واستبشر خيرًا وتفاءل خيرًا من أخيه حينما رآه على هذه الحال، ثمَّ واصل الشَّيخ بعد ذلك القراءة في الكُتَّاب إلى أن وصل إلى سورة التَّحريم، ومع ذلك كلِّه لم يترك أخاه حافظًا رحمهم الله تعالى جميعًا، فقد كان يعود إلى البيت فيتعاهده ويُعلِّمه ما تعلَّم من قراءةٍ وكتابة، ففي هذه الـمدَّة أتقن الكتابة والقراءة على يد أخيه الشَّيخ محمَّد رحمهما الله تعالى جميعًا، ثمَّ انقطع الشَّيخ محمَّد عن الكُتَّاب لسبب أو لآخَر، لا يهمُّنا ذلك، وبقيا على ما هما عليه، بعد أن أتقن القراءة فأصبح يُعرِب، لأنَّه كما قلت لكم حفظ حروف الهجاء بجميع حركاتها - رفعًا وجرًّا ونصبًا - فكان لا يكاد يُخطئ، فعلَّم أخاه، فانطلقا بعد ذلك سويًّا في القراءة والـمواصلة وأخوه أصغر منه بكثير، وكانا رحمهما الله تعالى يشتغلان برعي الغنم، وفي وقت عودهم وفراغهم في البيت يشتغلان بالقراءة

للقرآن، فتمَّا على هذه الحال إلى أن ختما القرآن الكريم كلَّه قراءةً مجوَّدةً من غير ما لحن مُتقنة، ثمَّ مع إتقانهما للخط استمرَّ الشَّيخ حافظ رحمه الله في تحسين خطِّه، وتنمية قوَّته في القراءة وتمكُّنه منها، وهذا كلُّه والشَّيخ دون العاشرة، إذ أكمل قراءة القرآن من النَّاس إلى البقرة وعمره سبع سنوات، أكمل قراءة المصحف متقنًا لا يلحن، ثمَّ بعد ذلك كانا على درجة عالية من التَّطلُّع إلى القراءة، في حين قلَّة الكُتب وقلَّة المُعلمين في ذلك الحين، فكان الشَّيخ محمَّد بِحُكم كبر سنِّه لا يسمع بفقيه في قرية عنده كِتاب إلَّا ورحل إليه وطلبه أن يُعيره إيَّاه، يقرأ فيه ويستنسخه هو وأخوه الشَّيخ حافظ، فسمع أوَّل ما سمع بشخصٍ عنده الرَّحبيَّة، كان فقيهًا فرضيًّا، فذهب إليه وهو يبعد عن قريته بقرابة العشر كيلومترات، فأخذ منه الرَّحبيَّة فعاد بها عارية

فنسخها هو وأخوه، ونسخها حافظ بخطِّه، وحفظها في ثلاثة أيَّام، وهو في هذه السِّن دون العاشرة، ثمَّ بعد ذلك بلغهما عن شخص آخَر أنَّ عنده كِتاب من الكُتب، وهما يتشوَّقان إليه، ذلكم الكتاب: «الأصول الثَّلاثة وكشف الشُّبهات»، فقام الشَّيخ محمَّد كعادته فزار ذلكم الرَّجل في قريته واستعار منه الكتاب، هذا وهذا، وعاد به فنسخاه ما يوجد تصوير فنسخاه هو وأخوه، فلمَّا أعاده أكبَّا على هذين الكتابين قراءة وحفظًا وتدبُّرًا وتفهُّمًا، ثمَّ بعد ذلك جاء السَّبب المُبارك: بلغ الشَّيخ حافظًا وأخاه محمَّدًا عن شخصٍ جاء من اليمن، ثمَّ رحل إلى هذه البلاد وانقلب معه إلى منطقة جازان بكتاب مجموع فيه رسائل أئمَّة الدَّعوة النَّجديَّة، وكان ذلكم الشَّيخ الفقيه اليمني ينزل قرية أبي حَجَر الأسفل وهو تابع لمخلاف بني شُبيل، يبعد عن مدينة صامطة

قرابة العشر كيلومترات إلى اثني عشر كيلومتر، فذهب إليه الشَّيخ محمَّد فاستعار منه هذه الـمجموعة، وعاد بها فأخذا يقرآن هو وأخوه الشَّيخ حافظ، في هذا الـمجموع الذي ظفرا به، وهنا أخبره ذلكم الرَّجل بأنَّ في صامطة عالِمٌ قد قدم يدعى الشَّيخ عبد الله القرعاوي، وعنده كُتب تصلح لكم، إذا أردتم فهذا الذي عنده الكُتب؛ يعني الذي عنده الكُتب في ذلك الحين ويسافر من أجلها وينقلب بها معه في الأسفار هذا قليل، الغالب أنَّ الـمرء إذا سافر وعنده كُتب يتركها في بلده حتَّى يُهيِّأ مكانًا ثمَّ يستلحقها بعد ذلك، فعاد إلى أخيه حافظًا وأخبره بالخبر، وكان الشَّيخ رحمه الله هو وأخوه في هذه الـمُدَّة لا ينقطعان عن القراءة والتَّحصيل، فقد كان الشَّيخ يصطحب مُصحفه معه في رعيه للغنم، الشَّيخ حافظ، بل إنَّه حفظ «لاميَّة الأفعال» وهو يرعى الغنم،

لابن مالك، وهي من أصعب الـمنظومات، والذي حمله على حفظها من غير فقه لـمعناها أنَّ الرُّعاة كانوا يتبارون فيما بينهم ويُعجِّز بعضهم بعضًا بأن كلَّ واحدٍ منهم يأتي بكلمات تتَّحد أو تتقارب الـمخارج فيها، مخارج الحروف، ومن يستطيع أن يأتي بكلمة مثلها، فكان الشَّيخ حافظ لصغر سنِّه يَعجز، فرأى هذه الـمنظومة وقعت بين يديه فحفظها فكان يُسابق بها الرُّعاة فيعجزهم ويحارون لا يستطيعون أن يأتوا بكلماتٍ على نحوها، فحفظ «لامية الأفعال» بهذا السَّبب، الشَّاهد أنَّ الشَّيخ رحمه الله في هذه الفترة أيضًا حفظ «الجزريَّة»، وهو دون العاشرة، كلُّ هذا دون العاشرة، حفظ معها «الجزرية»، «لاميَّة الأفعال»، و«الرحبية) و(كشف الشبهات)، هذا شيء عجيب لكنَّه من الله تبارك وتعالى، فالحاصل لـمَّا سمع بهذه العبارات من ذلكم

الرَّجل اشتدَّ تشوقهما إلى الشَّيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله، وكان بعد ذلـك اللقاء، فكتب الشَّيخ حافظًا رحمه الله كتابًا بخطِّ يده وجوده وجمله وأحسنه وأرسله مع أخيه محمَّدًا، لأن محمد أكبر، فأرسله معه إلى مدينة صامطة إلى الشَّيخ عبد الله القرعاوي يطلب منه أن يعيره كتاب التَّوحيد للشيخ محمَّد بن عبد الوهَّاب رحمه الله، ويطلب منه أيضًا فيه الـمجيء والزِّيارة لهم في قريتهم، قرية الجاضع، الَّتي يسكنها مع والديه، وكتب في مقدِّمة الكتاب بيتين من نظمه في هذه السِّن، فاسمعوا ما كتب، كتب رحمه الله في الفاتحة يقول:

إنَّ الَّذِي رَقَمَ الكِتابَ بِكَفِّهِ

يُقْرِي السَّلامَ على الذِي يَقرَاهُ

وعلى الَّذِي يَقرَاهُ أَلْفُ تَحِيَّةٍ مَقْرُونَة بالـمِسْكِ حِينَ يَرَاهُ

مع جمال الخطِّ وجودة التَّعبير، فلمَّا بلغ هذا الكتاب ونطوي الحديث نختصره، لـمَّا بلغ هذا الكتاب إلى الشَّيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله سأل الشَّيخ محمَّدًا: من الذي كتب هذا الكِتاب، من صاحبه؟، قال: أخي حافظ وهو أصغر منِّي ولا يستطيع الحضور لاشتغاله بخدمة والديه، قال له ماذا يعمل؟، قال: ير عى الغنم، فأخذ يقلب الكِتاب وقرأه في الطَّريق وهو إلى الـمسجد قبل صلاة الظُّهر، فلمَّا وصل إلى الـمسجد صلَّى ثمَّ عرض الكِتاب على طلبته الذين كانوا عنده، ثمَّ أعاد القراءة، ثمَّ قال: هذا كِتاب راعي غنم؟!، الكتابة جميلة والـمكتوب أجمل، وأخذ يُردِّد هذه العبارة، وكان هذا الكِتاب قد أرسله يوم الأربعاء، أو يوم الثُّلاثاء، فرحَّب الشَّيخ بهذا وقال لأخيه محمَّد: سنزوركم يوم الخميس، فكان اللقاء بعد ذلك، فخرج الشَّيخ عبد الله القرعاوي

من مدينة صامطة إلى قرية الجاضع يوم الخميس في العصر، وكان قد رتَّب له اللقاء مع شيخ القرية في كلام نختصره أيضًا، وقدَّم الشَّيخ رحمه الله ورحمهم جميعًا مع كبار طلَّابه ونزلوا ضيوفًا على شيخ القرية وصلَّوا الـمغرب، وألقى فيهم موعظة بليغة عن التَّوحيد وأهميَّته والصَّلاة وأهميَّتها، وكان الشَّيخ حافظ في رعيه، ثمَّ لـمَّا عاد جاءت صلاة العِشاء فكـان اللقاء بشيخه عبد الله القرعاوي فالتقى به بعد العِشاء، فلمَّا التقى به ودخل في الـمجلس سأله أن يقرأ عليه شيئًا من القرآن، فقرأ عليه وعلى الحاضرين شيئًا من القرآن مِمَّا يحفظه من السُّور حتَّى بكى الشَّيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله، وذلك لـمَّا سَمِعَه من حُسن قراءة الشَّيخ حافظ وتجويده وإتقانه لهذه القراءة في ذلكم القطر في تلكم القرية النَّائية الَّتي لا يوجد بها من يُعلِّم على هذا النحو،

فما كان منه إلَّا أن أخذ بيده وأجلسه بجانبه الأيمن، وأخذ بيد الشَّيخ محمَّد حامل الرِّسالة، وأجلسه على جانبه الأيسر ثمَّ أخذ يسائلهما عن العقيدة والتَّوحيد، يسائلهما في بعض سور القرآن، يسائلهما في الفرائض، يسائلهما في الحساب، وهما ينطلقان في الجواب من غير تلعثم ولا تردُّد، والشَّيخ حافظ في هذه السِّن الـمبكرة رحمه الله، فلمَّا رأى ذلك الشَّيخ أُعجب به وقال تلك الليلة: ما نروح بل نبيت، فباتوا عندهم تلك الليلة التي هي ليلة أظنُّ الخميس، وفي خطبة الجمعة خطب في النَّاس، وأعلن أنَّ مدرسته السَّلفية انتقلت من صامطة إلى الجاضع، وستبدأ الدِّراسة في الجاضع، فبدأت من يوم غد يوم السَّبت الدراسة في الجاضع لأجل الشَّيخ حافظ، فأقام مدَّة وهي تتمَّة شهر شعبان من ذلكم العام عام 1359 لهجرة النَّبيِّ ﷺ، فأقام بقيَّة شهر شعبان من

الثَّاني عشر إلى نهاية الشَّهر، يعني قرابة عشرين يومًا، وطلبة الشَّيخ الكبار الذين من صامطة يأتون ويروحون ويعودون إلى صامطة ثمَّ يعودون إلى الجاضع يتعلَّمون، في هذه الـمدَّة العشرون يومًا قرأ الشَّيخ مرَّة أخرى على الشَّيخ عبد الله القرعاوي القرآن مجوَّدًا، ثمَّ قرأ عليه «تحفة الأطفال» وخطَّها بخطِّه، كما درس عليه «الأربعين النَّووية» وشرحها، ثمَّ درس عليه «بلوغ المرام»، ثمَّ درس عليها مرَّة أخرى «الرحبية» التي كان يحفظها من قبل، وبعضًا من مبادئ الفقه والحساب، في عشرين يومًا، ولكن كانت الدِّراسة تبدأ من بعد الفجر إلى الضحى، ثمَّ ينطلق الشَّيخ حافظ بأغنامه، ثمَّ يعود بعد الظُّهر، فيعود إلى الشَّيخ ويجلس عنده إلى العصر ثمَّ ينطلق بأغنامه، ثمَّ يروح بعد ذلك الـمغرب فينطلق إلى الشَّيخ فيبقى عنده إلى بعد العِشاء، فكان اليوم كلَّه يوم عمل

وتحصيل وجدٍّ واجتهاد، فقرأ في العشرين يومًا هذا الـمقدار، ثمَّ بعد ذلك تضرَّر طلبة الشَّيخ الكبار فقالوا للشيخ لا بدَّ أن تعود الـمدرسة إلى صامطة فتردَّد الشَّيخ، فلمَّا رأى الشَّيخ حافظ وأخوه هذا من الشَّيخ ومن الطلبة أدركا أنَّهما قد تسبَّبا في الـمشقَّة، فأذنا للشَّيخ بالعودة ووعداه بأن يأتياه إلى صامطة ويدرسا عليه، فطابت نفس الشَّيخ وانطلق بعد ذلك إلى صامطة، ثمَّ بعد ذلك التحق الشَّيخ حافظ وأخوه -ومن كتب الله لهم- التحقوا بالـمدرسة السَّلفية في صامطة التي أنشأها الشَّيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله، عام ثمانية وخمسين لمَّا قدم إلى الـمدرسة وبقيا فيها عند الشَّيخ بقيَّة عام تسعة وستين، يذهبان ويجيئان ويتقطعان، بعض الأحيان يتقطع الشَّيخ حافظ عن الحضور وذلك لأنَّه صغر أبويه و لاشتغاله بخدمتهما وتعلُّقهما به، فإنَّ

الشَّيخ قد طلبا منهما في أوَّل الأمر بأن يتركاه ليذهبا معه ويتكفَّل لهما براعٍ ومن يقوم مقام الشَّيخ، فرفضا ذلك، لكن بعد ذلك شاء الله تبارك وتعالى وتوفِّيت أمُّ الشَّيخ، وفي مطلع الستِّينات التحق بمدرسة الشَّيخ عبد الله القرعاوي السَّلفيَّة في مدينة صامطة وكان لا يغيب إلَّا قليلاً، ثمَّ في نهاية عام ستين حجَّ مع أخيه ومع والـده وكان صغيرًا - ثمَّ توفِّي والده رحمه الله، بعد ذلك كانت السُّكنى الكاملة في مدينة صامطة بالـمدرسة السَّلفيَّة، وكانت هذه الـمدرسة مقرُّ الشَّيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله، وفي هذه الفترة أقبل إقبالاً عظيمًا عجيبًا غريبًا لا نظير له، يصفه طلابه الكبار وزملاءه بالوصف نفسه في الأخذ على الشَّيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله، فأتم حفظ القرآن ثمَّ أقبل بعد ذلك على التَّفسير، وقرأ «تفسير ابن كثير»، و«تفسير البغوي»، وقرأ غيره أيضًا

من التَّفاسير «كالجلالين» وحاشية الجمل عليهما، ثمَّ بعد ذلك قرأ عددًا من الكُتب، لأنَّه وجد مكتبة شيخه وخزينة كتبه التي ذكرها لهم ذلك الرَّجل، فوجد فيها «الصحيحين» ووجد فيها «سنن النسائي»، ووجد فيها «سنن الترمذي»، ووجد فيها «سنن ابن ماجه»، وحدَّثني شيخنا العلَّامة الـمُحدِّث الشَّيخ أحمد النجمي بأنَّ «سنن ابن ماجه» لم تكن عندهم في ذلكم الحين فأكبَّ الشَّيخ رحمه الله على هذه الكتب، ثم قرأ «فتح الباري» كلَّه من أوَّله إلى خاتمته، «والعين» كلَّه من أوَّله إلى خاتمته، ثمَّ «شرح النووي على صحيح مسلم» كلَّه من أوَّله إلى خاتمته، ثمَّ قرأ «الـموطَّأ»، ثمَّ «تدريب الرَّاوي»، ثمَّ «الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث»، ثمَّ «مقدمة ابن الصَّلاح»، ثمَّ «نخبة الفكر»، ثمَّ «كتاب التَّوحيد»، ثمَّ «كشف الشُّبهات»، ثمَّ «فتح

الـمجيد»، ثمَّ «الواسطيَّة»، ثمَّ «الحمويَّة»، ثمَّ «اقتضاء الصراط الـمستقيم»، «ثمَّ إغاثة اللهفان»، ثمَّ «زاد الـمعاد»، ثمَّ «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو الـمعطلة والجهميَّة»، ثمَّ «القصيدة النُّونيَّة» الـمشهورة، ثمَّ قرأ «الدرر الـمضية» للشيخ الشَّوكاني رحمه الله مع شرحها، وقرأ في أصول الفقه: «الورقات» مع شرحها، وفي الفرائض: «الرحبية» مرَّة أخرى على شيخه ومرَّة ثالثة مع شرحها للشنشوري، وكان في هذه القراءة كلِّها يأخذ مأخذ الجدِّ يكتب ويُعلِّق ويلخِّص مع صغر سنِّه كلَّما يستزيده من ذلك، ثمَّ اتَّجه بعد ذلك إلى النحو، فقرأ «الأجرومية» حتَّى ختمها وأتقنها، ثمَّ انتقل بعد ذلك إلى «ألفيَّة ابن مالك» حتَّى حفظها وأتقنها وعارضها وكمَّل عليها وعدَّل فيها بعض الأبيات، بعد ذلك قرأ «قطر الندى» لابن هشام رحمهم الله تعالى جميعًا، ثمَّ قرأ

«البداية والنِّهاية» جميعًا من أوَّلها إلى آخرها حرفًا حرفًا، وكان يختار لزملائه فيقرأ عليهم منها الحوادث الـمهمة والكبار بعد صلاة العشاء في رمضان، وفي هذه الـمدَّة حفظ القرآن في شهر، حدَّثني بذلك والدي وحدَّثني به عمِّي جدُّ أولادي كما رأيا ذلك منه رحمه الله؛ إذ كان من أوَّل النَّهار إلى أوسطه أو إلى قبيل الظُّهر يحفظ جزءًا وقبل الظُّهر إلى قبيل العصر يحفظ جزءًا ثمَّ يرتاح قبيل العصر نومة خفيفة، ثمَّ يقوم يصلي العصر، ثمَّ يراجع ويصلِّي بهم التَّراويح، فما انسلخ رمضان إلَّا وقد أتمَّ حفظ القرآن، وحدَّثني الشَّيخ أحمد النَّجمي رحمه الله يقول: «لـمَّا جئنا عند الشَّيخ طلب منَّا الشَّيخ عبد الله القرعاوي -وكان الشَّيخ صغيرًا والشَّيخ حافظ صغيرًا -، طلب منَّا الشَّيخ عبد الله القرعاوي الحفظ للقرآن فقرأت أنا في اليوم الأوَّل ثمن وحفظته، الشَّيخ حافظ

حفظ جزءًا، في اليوم الثَّاني حفظت ثمن، الشَّيخ حافظ حفظ الجزء الثَّاني، اليوم الثَّالث حفظت ثمن، الشَّيخ حافظ كمَّل البقرة، يقول: فقلت للشَّيخ حافظ: أمَّا أنا فلا أُجاريك، فتركت الحفظ معه أحفظ على طريقتي لا أستطيع كُلَّ يوم جزء، هذا شيخنا حيٌّ يرزق [الـمحاضرة كانت قبل وفاة الشيخ]، فهذا يدلُّ على ما أتاه الله سبحانه وتعالى من حافظة، ويحدِّثني أيضًا شيخنا الشَّيخ محمد بن أحمد الحكمي أخوه عنه أنَّه حفظ «خلق أفعال العباد» في ليلة للبخاري؛ إذ في حجِّ سنة من السِّنين زارا مع شيخهما الشَّيخ عبد لله القرعاوي الشَّيخ محمدعبد الرزاق حمزة [هو الشَّيخ العلَّامة محمد بن عبد الرازق حمزة، ولد بقرية كفر عامر بالقليوبية بمصر، والقوم على اختلاف في تحديد تاريخ مولده رحمه الله، فقيل 1309هـ وقيل 1311هـ والله أعلم، له مؤلفات انتفع بها

خلق كثير، وذكر صاحب كتاب «الشيخ حافظ الحكمي ومنهجه في تقرير العقيدة» شيئًا عنه في الصفحة 65، وصدر كتاب في ترجمته بعنوان: «الشيخ العلامة الـمحدث محمد بن عبدالرزاق حمزة من كبار علماء الحرمين» للشَّيخ محمد سيد أحمد]، والشَّيخ محمد عبد الرزاق حمزة أحد شيوخ الشَّيخ حافظ، فقد درس عليه قرابة نصف عام دراسة مستمرة، ثمَّ بعد ذلك في كُلِّ حجٍّ يدرس عليه، فكان أن وصل إلى الشَّيخ محمَّد عبد الرزاق حمزة في ذلك الحين من مصر نسختان من كتاب «خلق أفعال العباد»، فلمَّا وصل البريد إلى الشَّيخ وكان عنده الشَّيخ عبد الله القرعاوي والشَّيخ حافظ وأخوه محمَّد فلمَّا فتح البريد وإذا به فيه كتاب «خلق أفعال العباد» فـذكره الشَّيخ محمَّد عبد الرزاق حمزة للشَّيخ عبد الله القرعاوي، فلمَّا سمعه الشَّيخ حافظ شهق شهقة [ذكر

الشَّيخ محمَّد الـمدخلي أنَّ الشَّيخ محمَّد الحكمي رحمه الله وصفه له، وهذا مِمَّا لا يُستطاع كتابته، ويكفي أن نعرف أنَّها شهقة تدلُّ على التَّحسر لعدم امتلاك الكتاب، والله أعلم] تعلُّقًا بالكتاب لأنَّه يسمع به ولم يره، فلمَّا انصرفا أو أرادا الانصراف بعد العِشاء - هذا كان عند الشَّيخ - طلب منه الكِتاب عارية، فأعطاه نُسخة، يقول الشَّيخ محمَّد: فلمَّا مررنا مرَّ الشَّيخ بالطريق وأخذ دفترًا - اشترى له دفترًا – ثمَّ نزلنا إلى الـمسجد الحرام فأنا صليت السُّنَّة ثمَّ توسدت غترتي ونمت، والشَّيخ حافظ نسخ الكتاب كلَّه، فما أذَّن الـمؤذِّن الأوَّل إلَّا وهو يقول: وصلَّى الله وسلَّم على محمد وآله وصحبه، ثمَّ أيقظني للوتر، فأوترت والشَّيخ ذهب يطوف ثمَّ عاد إلى الوتر، ثمَّ لـمَّا عدنا إلى الإفطار عند الشَّيخ محمد عبد الرزاق حمزة مع شيخنا الشَّيخ عبد الله القرعاوي

أعاد إليه الكتاب، فقال له الشَّيخ: ما شاء الله قد قرأته كلَّه؟، فقال له الشَّيخ عبد الله القرعاوي: بل كتبه كلَّه، ولو شئت وقلت حفظه لـمَا أبعدت، فأخذ الشَّيخ يسأله عن بعض الأحاديث فيه، وهو يعيدها عليه بالسَّند والـمتن عن ظهر قلب، فقال: الـمخطوط لك والكتاب لك، حدَّثني بهذا أخوه الشَّيخ محمَّد رحمه الله في مكتب الدَّعوة والإرشاد عام 1408هـ رحمة الله عليه، فالشَّاهد أنَّ للشَّيخ في هذا الباب حالات غريبة وعجيبة كرامة من الله تبارك وتعالى، فهذه بعض حاله مختصرة، وله من الشُّيوخ غير الشَّيخ عبد الله: الشَّيخ محمد عبد الرزاق حمزة، والشَّيخ عبد الرحمن الـمُعلِّمي العالم الـمُحدِّث الفاضل الـمشهور رحمه الله، وقد كان يُجلُّه إجلالاً كبيرًا، وقد كان يُشرف أيضًا على طباعة كُتب الشَّيخ حافظ، وقد أشرف على طباعة «دليل أرباب الفلاح

لتحقيق فنِّ الاصطلاح»، والحاصل الكلام في هذا الجانب كلام كثير، لـمَّا بلغ الشَّيخ حافظ مبلغًا ورأى الشَّيخ عبد الله القرعاوي من تلميذه النُّبوغ هذا وآنس وأدرك منه التَّمكُّن بدأ في اختاره، فقال له: لو نظمت لنا نظمًا يدلُّنا على مقدار ما حصَّلت، فكان أن نظم هذه القصيدة الـمشهورة بين النَّاس إلى الآن «سُلَّم الوصول»، نظمها وعمره عشرين عامًا، ثمَّ كرَّ عليها وشرحها بـ «معارج القبول»، الذي يُعدُّ من أجمل الكُتب في الاعتقاد - اعتقاد أهل السُّنَّة - وعمره أربعة وعشرين عامًا، كتب هذا الكِتاب، فالشَّاهد هذا مُلخَّصٌ من سيرته الذَّاتيَّة رحمه الله، أمَّا جهوده في العقيدة رحمه الله فالجهود كثيرة جدًا، وهي ما بين حياته التَّعليميَّة والعلميَّة وما بنين حياته العمليَّة؛ أمَّا حياته التَّعليميَّة فجهوده في نُصرة العقيد ونشر العقيدة يَبرز من خلال التَّأليف، وأشهر ما

أَلَّف في ذلك ثلاثة كُتب، وإلَّا له غيرها، لكن أشهر ما أَلَّف في ذلك ثلاثة كُتب، الكِتاب الأوَّل نظمًا وهو الذي ذكرناه لكم كتاب: «سُلَّم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع ما جاء به الرَّسول ﷺ» الذي قال فيه:

سَأَلَنِي إياهُ مَن لا بُدَّ لي مِنِ امتثالِ سُؤله المُمتثَلِ

فقلتُ معْ عجزي ومعْ إشفاقي

مُعتمِدًا على القديرِ الباقي

اعلَمْ بأنَّ اللهَ جَلَّ وعَلا لم يَترُكِ الخلقَ سُدًى وهَمَلا

بلْ خَلَقَ الخلقَ ليَعبُدوه وبالإلهيـــــــةِ يُفْرِدوه

أخرجَ فيما قدْ مَضَى مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذريتَه كالذَّرِّ

وأخذَ العهدَ عليهم أنهُ لا ربَّ معبودٌ بحق غيرَهُ

إلى آخِره.

هذه الـمنظومة العظيمة الَّتي اشتملت على جُلِّ مباحث العقيدة، بعد ذلك كرَّ عليها فشرحها شرحًا سَلِسًا سهلاً واضحًا قويًّا مُدعَّمًا بالأدلَّة مسهبًا في استقصاء الأدلَّة من كتاب الله تبارك وتعالى وسُنَّة رسول الله ﷺ، فاشتملت هذه الـمنظومة على عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في أصول الإيمان وأنواع التَّوحيد، وما ينافي هذ التَّوحيد، وما ينافي كماله من أنواع الشِّرك والبدع، كما أفاض وأطال في توحيد الأسماء والصِّفات وتكلَّم على ذلك بكلامٍ عظيم جدًّا، فافتتح هذا الباب بقوله:

أولُ واجبٍ على العبيدِ مَعرِفةُ الرحمنِ بالتوحيدِ

إذْ هُوَ مِن كلِّ الأوامرَ ٱعْظمُ وهُو نوعانِ أَيَا مَنْ يَفْهَمُ

إثباتُ ذاتِ الربِّ جلَّ وعَلاَ

أسمائِهِ الحسنى صِفاتِه العُلَى

إلى آخِره.

ثمَّ فصَّلها إحدى عشر فصلاً وخاتمة، تكلَّم فيها على كُلِّ ما ذكرنا من توحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصِّفات، وما يتعلَّق بالسِّحر، وما يتعلَّق بالطيرة، وما يتعلَّق بالتَّنجيم، وما يتعلَّق بجميع مباحث العقيدة تجدها في هذه الـمنظومة، فالشَّاهد حينما تنظر إلى هذا الكِتاب تعجب منه، بل قال الشَّيخ مُحبُّ الدِّين الخطيب رحمه الله لـمَّا أرسل إليه الكِتاب - يقول هذا للشيخ بعد أن التقى به - :لولا أنَّه كُتِبَ على هذا الكِتاب اسم الـمُؤلِّف لقلت إنَّه من كتب السَّلف الأوَّلين رحمهم الله تعالى» [يذكرون أنَّه أرسل له رسالة هذا نصها: «إنَّ كتاب معارج القبول لو أنِّي اطلعت عليه وليس عليه اسمكم لظننت أنَّه من مؤلَّفات الإمام شمس الدِّين ابن القيِّم أو من هو في طبقته من الأعلام، لأنَّه ما

تعرَّض لـموضوع إلَّا استوفى فيه نصوصه من كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ بما لا يدع زيادة لـمستزيد، والأرجوزة (الـمتن)، مع أنَّ موضوعها علمي فإنَّها في منتهى السَّلاسة والسُّهولة والوضوح، فكُلُّ كلمةٍ منها مُحكمة في موضوعها بغير حشو مِمَّا يكثر في الأراجيز العلميَّة الأُخرى، فجزاكم الله عن طريقة السَّلف خير ما يجزي العُلماء الذين ساروا على الواضحة الَّتي كان عليها الصَّحابة والتَّابعون لهم بإحسان إلى يوم الدِّين» والرِّسالة يحتفظ بها ابنه الدُّكتور أحمد انظر: «الشيخ حافظ الحكمي حياته وآثاره» للشيخ سعود بن صالح بن محمد السيف ص 48] ، وهذا واضح لا في سهولة نظمه، ولا في اتِّساع الشَّرع واستقصائه لتقرير الاعتقاد:

هَذَا وثَانِي نَوْعَيِ التَّوحيدِ إِفْرَادُ ربِّ العرشِ عَنْ نَديدِ

أَنْ تَعبُدَ الله إلهًا واحِدَا مُعتَرِفًا بِحَقِّـــهِ لا جَـــاحِدَا

لـمَّا جاء إلى توحيد الإلهيَّة ثمَّ قال عن العبادة:

ثُمَّ الْعِبَادَةُ هيَ اسْمٌ جَامِعُ

لِكُلِّ مَا يَرضَى الإلهُ السَّامِع

وقال:

وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ: فَشِرْكٌ أَكْبَرُ بِهِ خُلودُ النَّارِ إذْ لاَ يُغْفَرُ

وَهُوَ اتِّـــــخَاذُ الْعَبْدِ غَيْرَ اللهِ نِدًّا بِهِ مُسَوِّيًا مُضَاهِي

إلى غير ذلك من النَّظم الطويل العريض السَّهل، الـمُمتنع أن تجد أحدًا يتمكَّن من النَّظم مع السُّهولة والعذوبة، وما استطاع أن يدخل في البيت النَّص فإنَّه لا يتأخر عن ذلك أبدًا، ولـمَّا جاء إلى الـمُشكلة العظيمة الَّتي طمَّت وعمَّت في العالَم الإسلامي وهو بناء القبور وبناء الـمساجد عليها؛ بناء القبور والأضرحة

عليها، ثمَّ بعد ذلك بناء الـمساجد واتـخاذ هذه القبور مساجد تكلَّم على ذلك وأفاض:

ومَنْ عَلَى القَبْرِ سِراجاً أوقَدَا

أوِ ابْتَنى عَلَى الضَّرِيحِ مَسْجِداً

فإنّه مُجَدِّدٌ جِهَـــــارا لِسُنَنِ الْيَهُودِ والنَّـــــصَارَى

كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنْ

فَاعِلهُ كَمَا رَوَى أهْلُ السُّنَنْ

لا يستطيع يدخل شيئًا من الأدلَّة في النَّظم إلَّا وأدخله لا يتأخَّر عنه، فإذا قرأ القارئ هذه الـمنظومة يجد قوَّة الشَّيخ في أسلوبه رحمه الله مع سِنِّه الـمُبكِّرة، عشرين سنة اليوم لا يزال في اللعب إلَّا القليل القليل الذين يوفِّقهم الله بِأُسرة بعد توفيقه جلَّ وعلا أو بِصُحبة إلى

الثَّمانية عشر والعشرين وهو ما يزال في اللعب واللهو والـمرح.

وَالسحْرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرُ لـــــكِنْ بِما قَـــــدَّرَهُ الْقَدِير

أعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهُ

في الْكَوْنِ لا في الشِّرعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

واحْكُمْ عَلَى السَّاحِرِ بِالتكْفِيرِ

وَحَدُّهُ القَتْلُ بِلا نَكِيرِ

كَمَا أتَى في السُّنَّةِ المُصَرَّحَةْ

مِمَّا رَوَاهُ التِّرْمِذِي وَصَحَّحَهْ

عَنْ جُنْدُبٍ وَهَكَذَا في أثَر

أمرٌ بِقَتْلِهِمْ أتى عَنْ عُمَر

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ عِندَ مَالِكِ

مَا فِيهِ أَقْوَى مُرْشِدٍ للسالِكِ

هكذا تجد الإشارة إلى النُّصوص وإلى تخريجها في النَّظم، وهذا قليل في مثل هذه الأوقات عند النَّاظمين في هذه الأوقات الـمُتأخِّرة، عندما تأتي إلى الإيمان، وتقريره أن: الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالـمعصية، وأنَّ أهله فيه متفاوتون ومتفاضلون منهم ومنهم ومنهم، تجده يقول:

إيْمَاننَا يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ وَنَقْصُهُ يَكُونُ بَالزلاَّتِ

وَأَهْلُهُ فيهِ عَلَى تَفَاضُلِ هَلْ أنْتَ كَالأمْلاكِ أوْ كَالرُّسُل

ردًّا على مَن؟، على الـمُرجئة الذين يقولون إيمان آحادهم وإيمان جبريل واحد.

وَالْفَاسِقُ الْمَلِّيُّ ذُو الْعِصْيَانِ

لَمْ يُنْفَ عَنهُ مُطلَقُ الإيمَانِ

إلى آخِر ما قال في ذلك، وهكذا تجده في الجوهرة الفريدة، وهي الكتاب الثَّاني له:

والدِّيْنُ قَوْلٌ بِقَلْبٍ واللِّسَانِ وأعْـ

ـمَالٌ بِقَلْبٍ وَبِالأَرْكَانِ مُعْتَمِدُ

يَزْدَادُ بالذِّكْرِ وَالطَّاعَاتِ ثُمَّ لَهُ

بِالذَّنْبِ وَالْغَفْلةِ النُّقْصَانُ مُطَّرِدُ

وَأَهْلُهُ فِيْهِ مَفْضُوْلٌ وَفَاضِلُهُ

مِنْهُمْ ظَلُومٌ وَسَبَّاقٌ وَمُقْتَصِدُ

وَهَاكَ مَا سَأَلَ الرُّوْحُ الأَمِيْنُ رَسُوْ

لَ اللهِ عَنْ شَرْحِهِ وَالصَّحْبُ قَدْ شَهِدُوا

فَكَانَ ذَاكَ الْجَوَابُ الدِّيْنَ أَجْمَعَهُ

فَافْهَمْهُ عِقْدًا صَفَا ما شَابَهُ عُقَدُ

وهكذا يُقرِّر الاعتقاد رحمه الله في هذه الكُتب الَّتي صنَّفها رحمه الله، فتجده أوَّل ما يبدأ يُقرِّر هذا التَّوحيد ويرد على شُبَه الـمُخالفين شُبهةً شُبهة بالأدلَّة الصَّحيحة الصَّريحة الواضحة، بدلالة الـمنطوق أوَّلاً ثمَّ بدلالة الـمفهوم، يكر على هذا البدع لا يدع منها شاذَّة ولا فاذَّة فرحمه الله تعالى، أمَّا الجوهرة الفريدة ففيها ما ليس في السُّلَّم، وفي السُّلَّم أيضًا ما ليس في الجوهرة، وإن كانت الجوهرة من آخِر ما نظمه، لأنَّه نظمها رحمه الله بعد أن طُعن فيه، مع هذا كُلِّه لم يسلم من الطَّعن في عقيدته، وقال بعضهم فيه: إنَّه زيدي، وهذه سُنَّة الله في كُلِّ داعية يقوم داعيًا للنَّاس إلى كِتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ أنَّه لا يخلو من مُخالف، فلمَّا جاء إلى هذه العقيدة نظمها وما أخلاها من جميع مباحث العقيدة في الجُملة، فجاء إلى الشِّرك فقال:

والشِّرْكُ جَعْلَكَ نِدًّا لِلإِلهِ وَلَمْ

يُشارِكِ اللهَ في تَخْلِيْقِنَا أَحَدُ لِدَفْعِ

تَدْعُوْهُ تَرْجُوْهُ تَخْشَاهُ وَتَقْصُدُهُ شَرٍّ وَمِنهُ الْخَيْرَ تَرْتَفِدُ

وَعِلْمُهُ بِكَ مَعْ سَمْعِ الدُّعَاءِ وَقُدْ

رَةٍ وسُلْطَانِ غَيْبٍ فيْهِ تَعْتَقِدُ

مَثْلَ الأُلى بِدُعَا الأَمْوَاتِ قَدْ هَتَفُوا

يَرْجُوْنَ نَجْدَتَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا فُقِدوا

وَكَمْ نُذُوْرًا وَقُرْبَانًا لَهَا صَرَفوا

ظُلْمًا وَمِنْ أَنْفَسِ الْمَنْقُوْشِ كَمْ نَقَدُوا

وَكَمِ قِبَابًا عَلِيْهَا زُخْرِفَتْ وَلَهَا

أُعْلِي النَّسِيْجُ كِسَاءً لَيْسَ يُفْتَقَدُ

فَهُمْ يَلُوْذُوْنَ في دَفْعِ الشُّرُورِ بِهَا

كَمَا لَهَا فِي قَضَا الْحَاجَاتِ قَدْ قَصَدُوا

وَيَصْرِفُونَ لَهَا كُلَّ الْعِبَادَةِ دُوْ

نَ اللهِ جَهْرًا وَلِلتّوحِيْد قَدْ جَحَدُوا

إِنْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الأَفْعَالُ يَا عُلَمَا

شِرْكًا فَمَا الشِّرْكُ؟ قولوا لي أَوِ ابْتَعِدُوا

هكذا تجده ينظم في هذه المباحث يبيِّن الاعتقاد الصَّافي الذي عليه أهل السُّنَّة والجماعة، اعتقادًا صحيحًا صريحًا واضحًا، واستفتح هذه العقيدة وهي الكِتاب الثَّاني له، والوقت لا يتَّسع أن نذكر كُلَّ شي، استفتح هذه العقيدة بالتَّمسك بالسُّنَّة والتبري من البدع وأهلها، فاستفتح بعد الخطبة، قال:

وَبَعْدُ ذِي فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ (جَوهَرةٌ ...

فَرِيْدَةٌ) بِسَنَا التَّوحِيْدِ تَتَّقِدُ

بِشَرْحِ كُلِّ عُرَى الإِسْلامِ كَافِلةٌ

وَنَقْضِ كُلِّ الذي أَعْداؤهُ عَقَدُوا

وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي مِنْ لَوازِمِهَا

والله أسأل منه الخير والرَّشَدُ

إلى آخِره، فاستفتحها بالبراءة من البدع وأهلها فقال رحمه الله:

إِنّي بَرَاءٌ مِنَ الأَهْوا وَمَا وَلَدَتْ

وَوَالدِيْها الحَيَارى سَاءَ مَا وَلَدُوا

وَاللهِ لَستُ بِجَهْمِيٍّ أَخَا جَدَلٍ

يَقُوْلُ في اللهِ قَوْلًا غَيْرَ مَا يَرِدُ

يُكَذِّبُونَ بِأَسْمَاءِ الإِلهِ وَأَوْ

صَافٍ لَهُ بَلْ لِذاتِ اللهِ قَدْ جَحَدُوا

كَلاّ وَلسْتُ لِرَبِّي مِنْ مُشَبِّهَةٍ

إِذْ مَنْ يُشَبِّهُهُ مَعْبوْدُهُ جَسَدُ

وَلاَ بِمُعْتَزلِيٍّ أَوْ أَخَا جَبَرٍ

في السَّيئاتِ عَلى الأَقْدَارِ يَنْتَقِدُ

كَلاّ وَلَستُ بِشيْعِيٍّ أَخَا دَغَلٍ

في قَلْبِهِ لِصِحَابِ الْمُصْطَفَى حِقِدُ

- يعني الشيعة والرَّافضة -

كَلاّ وَلاَ نَاصِبيٍّ ضِدَّ ذَلِكَ بَلْ

حُبُّ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الآلِ نَعْتَقِدُ

وَمَا أَرِسْطُو وَلاَ الطُّوْسِيْ أئمَّتَنَا

وَلاَ ابنُ سَبْعِيْنَ ذَاكَ الْكَاَذِبُ الفَنِدُ

وَلاَ ابنُ سِيْنَا وَفَارَابِيْهِ قُدْوَتَنَا

وَلاَ الّذِي لِنُصُوصِ الشَّرِّ يَسْتَنِدُ

مُؤَسِّسُ الزَّيْغِ وَالإِلْحَادِ حَيْثُ يَرَى

كُلَّ الْخَلائقِ بِالْبَارِي قَدِ اتّحدوا

مَعْبُودُهُ كُلُّ شَيءٍ في الْوُجُوْدِ بَدَا

الكَلْبُ وَالقِرْدُ وَالخِنْزِيْرُ وَالأَسَدُ

وَلاَ الطَّرَائقُ وَالأَهْوَاءُ وَالْبدعُ الـ

ضُّلاَّلُ مِمَّنْ عَلَى الوَحْيَيْنِ يَنْتَقِدُ

وَلاَ نُحَكِّمُ في النّصِّ الْعُقُوْلَ وَلاَ

نَتَائِجَ الْمَنْطِقِ الْمحُوْقِ نَعْتَمِدُ

لَكِنْ لَنَا نَصُّ آيَاتِ الْكِتَابِ وَمَا

عَنِ الرَّسُوْلِ رَوَى الأَثْبَاتُ مُعْتَمَدُ

لَنَا نُصُوْصُ الصَّحِيْحَيْنِ اللّذَيْنِ لَهَا

أَهْلُ الوِفَاقِ وَأهْلُ الخُلْفِ قَدْ شَهِدُوا

وَالأَربَعُ السُّنَنُ الغُرُّ التي اشْتَهَرَتْ

كُلٌّ إلَى المُصْطَفى يَعْلو لَهُ سَنَدُ

كَذَا الْمُوَطّا مَعَ المُسْتَخْرَجَاتِ لَنَا

كَذَا المَسَانِيْدُ للْمُحْتَجِّ مُسْتَنَدُ

مُسْتَمْسِكِيْنَ بِهَا مُسْتسْلِمِيْنَ لَهَا

عَنْهَا نَذُبُّ الْهَوَى إِنّا لَهَا عَضُدُ

وَلاَ نُصيْخُ لِعَصْرِيٍّ يَفُوْهُ بِمَا

يُنَاقِضُ الشَّرْعَ أوْ إيَّاهُ يَعْتَقِدُ

إلى آخِر الفصل، فالشَّاهد تبرَّأ من البدع وأهلها، وتبرَّأ من هذه الطَّرائق الـمُخالفة للسُّنَّة، مِمَّا يدلُّنا على أنَّ الـموحد السُّنِّي الصَّادق لابدَّ عنده من أن يجمع بين

الولاء والبراء، الولاء للسُّنَّة وأهلها والبراءة من البدعة وأهلها، والبراءة تكون ببغض البدعة وببغض حملتها والدُّعاة إليها، فالشَّيخ يُقرِّر هذا ويتبرَّأ منه، يتبرَّأ من أصحاب الكلام والفلسفة والـمنطق:

وَمَا أَرِسْطُو وَلاَ الطُّوْسِيْ أئمَّتَنَا

وَلاَ ابنُ سَبْعِيْنَ ذَاكَ الْكاَذِبُ الفَنِدُ

وَلاَ ابنُ سِيْنَا وَفَارَابِيْهِ قُدْوَتَنَا

وَلاَ الّذِي لِنُصُوصِ الشَّرِّ يَسْتَنِدُ

يعني «فصوص الحكم» لابن عربي، الذي قال عنه العلماء: «فصوص الكُفر والزَّيغ والزَّندقة»، هذا يبيِّن لك أنَّ طالب السُّنَّة لا بدَّ مع طلبه للسُّنَّة وسيره في طريقها لابدَّ من أن يُحبَّ حملتها وأهلها ويُبغض البدعة وأهلها:

إِنّي بَرَاءٌ مِنَ الأَهْوا وَمَا وَلَدَتْ

وَوَالدِيْها الحَيَارى سَاءَ مَا وَلَدُوا

وعلى هذا يُبوب أبو داود رحمه الله: (باب ما جاء في مجانبة أهل الأهواء وبغضهم) الـمجانبة شيء والبغض شيء آخَر، فقد تُجانب الـمُبتدع لا لعقيدة في قلبه لشيء خارجي، قد يكون هذا الـمُبتدع مُراقبًا من الحُكَّام، مُراقبًا من الدَّولة، يُنظر إليه، قد ينالك إذا جلست معه انقطاع شيء من الـدُّنيا عليك، فأنت تهرب عنه وتبتعد لكن قلبك عامر بِحُبِّه، يقول أبو داود في كتاب السُّنَّة: (باب ما جاء في مجانبة أهل الأهواء) هذا شيء، (وبغضهم) هذا شيء آخَر، ويسوق تحته حديث: (**أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ**) فهذا من الإيمان، الآن كثير من النَّاس يزعم أنَّه على نهج هؤلاء الأشياخ، ووالله إنَّه ليس على نهجهم،

إذا جاءت البدع لا ينكرها، إذا قام الـمُنكر أنكر على الـمُنكر على البدعة، ويملس على أهل البدع وعلى رؤوسهم، ويُنكر على أهل السُّنَّة ويقف في وجوههم، وإلى الله الـمُشتكى، ثمَّ بعد ذلك يَزعم أنَّه على طريقة هؤلاء العُلماء - حاشا وكلَّا - هؤلاء العُلماء ورَّاثهم حقيقة هم من ساروا على طريقتهم، يبرؤون من البدع والـمُحدثات - فضلاً عن الشِّرك - ويحاربونها بِكُلِّ ما استطاعوا من قوَّة، فمن كان جاهلاً علَّموه، ومن كان ذا شبهة فهَّموه حتَّى يرفع الشُّبهة عنه، فإن وجدوا منه الإصرار قاموا بالرَّدِّ عليه وتحذير النَّاس منه، ورفع أمره إن استطاعوا إلى من يأخذ على يديه، حتَّى لا يضلُّ النَّاس بسببه، فالشَّاهد: الشَّيخ رحمه الله كتب هذا الكتاب النَّظم الأوَّل: «سلَّم الوصول»، وشرحه الثَّاني: «معارج القبول»، ثمَّ بعد ذلك «الجوهرة الفريدة في

تحقيق العقيدة» وهي مُقابل «جوهرة التَّوحيد» هذه الَّتي يسمِّيها أصحابها «جوهرة التَّوحيد» ظُلمًا وعدوانًا، والَّتي يقول فيها قائلها نافيًا الصِّفات وإثبات الصِّفات عن الله تبارك وتعالى:

وكلُّ نقصٍ أوهم التَّشبيها أوِّله أو فوِّضه رُم تنزيها

هذه طريقة محمد ﷺ؟، كلَّا ليست طريقة النَّبيِّ ﷺ، وإنَّما طريقة النَّبيِّ ﷺ إثبات هذه الصِّفة قرأ: **(إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58)** [النساء]، أعلى منبره الشَّريف عليه الصَّلاة والسَّلام ثمَّ أشار بإصبعيه، السَّبابة على عينيه، والإبهامين جعلهما على أذنيه مُبالغةً في تحقيق الصِّفة، يجيئها السَّائل الأعرابي فيقول ﷺ: **(يضحك ربُّنا)**، فيقول: أو يضحك ربُّنا يا رسول الله؟، قال: **(نَعَمْ)**، قال: لن نَعدَم من ربٍّ يضحك خيرًا [صحيح ابن ماجه (1/78)]، وهؤلاء يـحرفون هذه الصِّفات، أهل السُّنَّة ليسوا على

هذه الطَّريقة، أهل السُّنَّة يؤمنون بهذه الصِّفات الَّتي جاءت في كتاب الله تبارك وتعالى، وفي سُنَّة رسول الله الصَّحيحة الثَّابتة ﷺ، لأنَّه لا أحد أعلم بالله من الله، ولا أحد من الخلق علم بالله من رسول الله ﷺ وقد قال الله تبارك وتعال: **(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** (11) [الشورى]، فنفى أن يكون له مثيلاً وشبيهًا سبحانه وتعالى، فهذا ردٌّ على مَن؟، رد الـمشبهة، وقوله: **(وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** أثبت فيه صفتي السَّمع والبصر، ففي هذا ردٌّ على الـمُعطِّلة، وفي هذا يقول الشَّيخ رحمه الله في جوهرته:

وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الْوحْيَيْنِ مِنْ صِفَةٍ

للهِ نُثْبِتُهَا والنَّصَّ نَعْتَمِدُ

صِفَاتُ ذَاتٍ وَأَفْعَالٌ نُمِرُّ وَلاَ

نَقُوْلُ كَيْفَ وَلاَ نَنْفي كَمَنْ جَحَدُوا

لَكِنْ عَلَى مَا بِمَوْلاَنَا يَلِيْقُ كَمَا

أَرَادَهُ وَعَنَاهُ اللهُ نَعْتَقِدُ

فالشَّاهد أنَّ هذا الباب - باب الاعتقاد - عندهم لا تساهل فيه ولا تسامح فيه، فتجد الشَّيخ رحمه الله بعد أن يستفتح هذا الكتاب الثَّالث وهو «الجوهرة الفريدة» بالتبرِّي من البدع وأهلها يعقد أصولاً فصلاً فصلاً في مباحث العقيدة رحمه الله ويبين ذلك غاية البيان، ومن أراد أن يرجع إلى الجوهرة فهي أيضًا مطبوعة فليرجع إليها وسيجد تفصيل هذا الكلام كلُّه فيها، أمَّا ما يتعلَّق بجهوده العمليَّة فقد كان رحمه الله آية في الحرص على بيان التَّوحيد في كُلِّ الـمناسبات، وعلى بيان السُّنَّة في كُلِّ الـمناسبات: في خطبه، في درسه، في كتابته، حتَّى إنَّه

رحمه الله له وريقات شرح فيها مقدمة «نظم العمريطي للورقات» في أصول الفقه، فلمَّا جاء إلى قول العمريطي في استمداد أصول الفقه، وأنَّه استمدوه من الشَّافعي علَّق عليه، قال: «وفي هذا أبلغ ردٍّ على من يقولون إنَّ عِلم أصول الفقه مستمدٌّ من عِلم الكلام، فانظر إليهم هنا كيف ينسبونه إلى الشَّافعي، وإذا جاءوا إلى أصول الفقه يقولـون عنه في شرحهم مستمدٌّ من عِلم الكلام، مع علمهم بأنَّ الشَّافعي أشدُّ الأئمَّة على أهل الكلام»، وذكر كلام الشَّافعي رحمه الله، وأيضًا من مواقفه رحمه الله أنَّه ما كان يسمع ببدعة أو مُحدثة أو شيء مما يُذكر من الـمزارات أو القبور إلَّا وأنفذ إليها من يستطيع من طلابه وإخوانه، بأمر من هؤلاء جميعًا ومن شيخهم الشَّيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله، وأحيانًا يكون الشَّيخ معهم، وفي أوائل الـمُبيِّنين للنَّاس رحمه الله، أيضًا

كان له مُجالسة لـمن يفد عليهم في مدينة صامطة وفي الـمنطقة كلِّها، ممَّن عندهم تأثُّرات بالاعتقادات الفاسدة، كعقيدة الأشعريَّة، فقد ناظر عددًا من الـمعلمين الذين قدموا ومن الـمدرسين الذين قدموا للتدريس والتَّعليم في الـمنطقة وكانوا على اعتقاد الأشاعرة، فناظر كثيرًا منهم، وهدى كثيرًا منهم على يديه، لكنَّه رحمه الله كان لا يحبُّ أن تكون الـمناظرة بشكل مُناظرة كاجتماع وهذا يقول وهذا يقول، ولكنَّه كان ينحى بها - وهذا من حسن سياسته رحمه الله -، كان ينحى بها نحو الـمُدارسة، يطرح الـمسألة كأنَّها مسألة ثمَّ يطارح فيها، ويورد بعد ذلك ما يورد عليها من الدَّلائل، من عنده شبهة فيورد هؤلاء ويورد ويورد وهو يأخذها شبهة شبهة وينقضها واحدة واحدة، حتَّى لا يدع لصاحب الشُّبهة باب ولا منفذًا مفتوحًا أبـدًا،

فحين ذلك النَّاس أحد رجلين، من سبقت له عند الله سبحانه وتعالى الهداية، فهذا يُوفَّق لها، ومن كان من أهل الشِّقوة، فهذا لا ينفع فيه شيء، ولكن ذكر الوالد والأعمام وأشياخنا الذين أدركناهم وأخذنا عنهم ممَّن زاملوه وممَّن قرأوا على يديه أنَّ هذا نهجه رحمه الله، وقد رجع كثير ممن التقى بهم وكانوا حتَّى الأشاعرة رحمه الله، فقد كان في هذا الباب ذا حكمة وذا فطنة وذا أسلوب طيِّب، وكان يخشى أيضًا على نفسه في باب الـمناظرات، فإذا كان هذا حال العالِم، فكيف بنا نحن؟، يخاف أن يخرج البحث من باب الانتصار للعِلم، إلى الانتصار للنَّفس فيطرحه على شكل مُدارسة ومُباحثة، من مناظراته أيضًا ومحاوراته العلميَّة الـمُسجَّلة قصيدته الـمشهورة في نصيحة الإخوان، فإنَّ هذه القصيدة واضحة جدًّا في الـمناظرات والـمحاورات مع

من تطاول على أهل السُّنَّة وحاول أن يظهر ضعفهم وحاول أن يتطاول عليهم حينما أباح القات والدخان، فلمَّا رأى ذلك ردَّ عليه بنظمٍ بديع، لعلَّنا نذكر طرفًا منه - مكتوبًا مطبوعًا الآن -، من شاء أن يعود إليه فليعد إليه وسيجده بإذن الله، - القصيدة طويلة -، لـمَّا جاء إلى تحسينه في هذا الامر لأنَّه أباح القات والدُّخان ومنع البردقان فقال:

يا باحثاً عن عفون القات مُلتمساً

تبيانه مع إيجاز العباراتِ

ليس السَّماع كرأي العين مُتَّضحًا

فاسأل خبيراً ودع عنك الـممارات

إن جاءه الظُّهر فالوسطى يضيعها

أو مغرباً فعشاء قط لم يأتِ

وإن أتاها فمع سهو ووسوسة

في غفلة مع تفويت الجماعاتِ

كُلْهُ لـِما شئت من وهن ومن سلس

ومن فتور وأسقام وآفاتِ

جاء إلى الدُّخان فقال:

سألتهم أحلال ذا الشَّراب لكم

من طيِّبات أحلَّت بالدَّلالات

أجابني القوم ما حلَّت ولا حرُمت

فقلت لابدَّ من إحدى العباراتِ

مافي شيء أسمه لا حلال ولا حرام.

أنافع أم مضرٌّ بيِّنوه لنا قالوا مضرٌّ يقيناً لا مُماراتِ

قلنا فلا شكَّ أنَّ الأصل مُطَّردٌ

بأنَّه الحظر في كُلِّ الـمضرَّاتِ

إلى آخِره، فالشَّيخ ينظر إلى الحُجج القويمة النقليَّة والعقليَّة، الَّتي إذا سمعها العاقل والعُقلاء ولله الحمد يستفيدون ويقلعون بإذن الله تبارك وتعالى، وينتفعون إذا كتب الله سبحانه وتعالى لهم، فكانت هذه القصيدة رائجة بـين طلبته وزملائه والـمنطقة عمومًا، لأنَّهم ابتلوا بهذا البلاء والدُّخان ابتلي به عموم الـمسلمين، فانتشر بينهم فنفع الله بها نفعًا عظيمًا وسمَّاها أو اشتهرت بهذا الاسم: «نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والشمة والدُّخان» فهي مطبوعة موجودة ومن أراد أن يراجعها فليراجعها، وكما قلت لكم لا يدع محلًّاً أو بابًا للتَّحذير من الشِّرك إلَّا ودخله -استغل ذلك الباب - فمثلاً لمَّا تأتي إلى منظومته العظيمة الجميلة:

«السُّبل السويَّة لنظم فقه السُّنن الـمرويَّة» التي تزيد على ألفي بيت لـمَّا جاء إلى الـمساجد قال:

تلك بيوت أذن الله بأن

ترفع نصًا في الكتاب والسُّنن

وهي رياض كرياض الجنَّة

فارتع هديت لاتِّباع السُّنَّة

ومن بنى لله مسجدًا بنى

بيتًا له في دار عدن ربُّنا

إلى أن قال:

أمَّا اتِّخاذها على القبور

فاحذر فذاك أقبح الـمحظور

الآن هذا بيان حكم الـمساجد وما يتعلَّق بها، لكنَّه لـمَّا جاء إلى هذا أدخله، لأنَّه: (لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)، بعد ذلك شرع يُبيِّن حقَّ هذه الـمساجد وفضيلتها:

ويكره التَّحمير والتَّصفير بل فتنة عنه أتى التَّحذير

كذاك لا تتخذن طريقا ولا لبيع وشراء سوقا

كذا بها أسلحة لا تشهر ومن بها يرفع صوتًا يزجر

والنشد والمقتاد يتقيها كذا الحدود لا تقام فيها

ومع دخولك اليمين قدم

وفي الخروج عكس ذاك فاعلم

وسم واستغفر وصل فيهما على رسول الله نصًا علما

وصلين تحية للمسجد قبل الجلوس فادر واعمل تهتد

وكل وجه الأرض مسجد لنا فضيلة خص بها نبينا

واستثنين ما النهى عنه قد نقل

من ذاك حمام بها وأعطان الإبل

قارعة الطريق ثم المقبرة ومثلها مزبلة ومجزرة

كذاك فوق ظهر بيت الله وكل ما صح من المناهى

فهكذا تجد ما يدع بابًا يرى أنَّه يلج الشِّرك منه إلَّا دخل فيه وسدَّه على صاحبه، جهوده أيضًا في التَّحذير من عِلم الكلام كما ذكرنا في وصيَّته الجميلة لطالب العِلم الشَّاملة للآداب، وقد قسَّمها إلى أربعة أقسام: قسم في النَّصيحة عامة، وقسم في النَّصيحة لكتاب الله تبارك وتعالى، وقسم في النَّصيحة بالسُّنَّة والحثِّ على حفظها، وقسم في الحثِّ على تعلُّم العلوم الشَّرعيَّة والتَّحذير من

العلوم العصريَّة الـمُخترعة الـمُبتدعة وجعل في آخِرها التَّحذير من عِلم الكلام فقال:

واحْذَرْ قوانينَ أرْبابِ الكَلامِ فمَا

بِها مِنَ العِلْمِ غيرُ الشَّكِّ والتُّهَمِ

قامُوسُ فَلْسَفَةٍ مِفْتاحُ زنْدَقَةٍ

كَمْ منْ مُلِمٍّ بهِ قدْ باءَ بالنَّدَمِ

رامُوا بِها عَزْلَ حُكْمِ اللهِ واقْتَرَحُوا

لِلْحَقِّ رَدًّا وإنْقاذًا لِحُكْمِهِمِ

يَرَوْكَ إنْ تَزِنِ الوَحْيَيْنِ مُجْتَرِئًا

عَليهما بِعُقُولِ الْمُغْفلِ العَجَمِ

وأنْ تُحَكِّمَها فِي كُلِّ مُشْتَجَرٍ

إذْ لَيْسَ فِي الوَحْيِ مِن حُكْمٍ لِمُحْتَكِمِ

يعني عندهم الحكومة هذه الَّتي تقيمونها أنتم بنصوص الوحي هذا كلُّها ظنيَّة، العقليات عندهم هي القطعيَّة، فلأجل ذلك قدَّموا العقل على النَّقل، ففي آخِر الوصيَّة لطالِب العِلم أوصاه بأن يـحذر قوانين علم الكلام كما بيَّنا أيضًا لكم في ما سبق في الجوهرة حينما قال:

وَمَا أَرِسْطُو وَلاَ الطُّوْسِيْ أئمَّتَنَا

وَلاَ ابنُ سَبْعِيْنَ ذَاكَ الْكَاَذِبُ الفَنِدُ

فهؤلاء: الطوسي، وأرسطو، وابن سبعين، وابن سينا، والفارابي، النَّاس لا يعرفون كثيرًا عن ابن سينا والفارابي، وابن سينا باطني قرمطي، والآن نرى بعض الـمدارس مدرسة ابن سينا، يقول ابن القيم رحمه الله:

وأتى ابن سينا القرمطي مصانعًا

للمسلمين بإفك ذي بُهتانِ

فرآه فيضًا فاض من عقلٍ هو الـ

ـفعَّال علَّة هذه الأكوانِ

يعني: القرآن ما هو مُنزَّل من عند الله تبارك وتعالى، عند ابن سينا القرآن ليس مُنزَّلاً من عند الله تبارك وتعـالى، وإنَّما هو فيض من العقل الفعَّال، فاض على عقل النَّبيِّ محمَّد ﷺ لأنَّه زكيٌّ وفاضل وقد جاهد نفسه حتَّى صفت، فتلقى هذه الـمواعظ وجاءنا بها خطب لا حقيقة لها، ما فيه بعث ولا جزاء ولا حساب ولا نار ولا قصاص للمظلوم من الظَّالِم أبدًا، هذا رأي ابن سينا في القرآن، والنَّاس لا يعلمون شيئًا عن ابن سينا إلَّا أنَّه مفكِّر إسلامي، فيقول هنا الشَّيخ شمس الدِّين ابن القيِّم رحمه الله:

وأتى ابن سينا القرمطي مُصانعًا

للمسلمين بإفك ذي بُهتانِ

فرآه فيضًا فاض من عقل هو الـ

ـفعَّال علَّة هذه الأكوانِ

حتَّى تلقَّاه زكي فاضل حسن التَّخيل جيد التِّبيانِ

فأتى به للعالـمين خطابة

ومواعظًا عريت عن البرهان

يقول الشَّيخ حافظ رحمه الله فيه:

وَلاَ ابنُ سِيْنَا وَفَارَابِيْهِ قُدْوَتَنَا

وَلاَ الّذِي لِنُصُوصِ الشَّرِّ يَسْتَنِدُ

مُؤَسِّسُ الزَّيْغِ وَالإِلْحَادِ حَيْثُ يَرَى

كُلَّ الْخَلائقِ بِالْبَارِي قَدِ اتّحدوا

مَعْبُودُهُ كُلُّ شَيءٍ فِي الْوُجُوْدِ بَدَا

الكَلْبُ وَالقِرْدُ وَالخِنْزِيْرُ وَالأَسَدُ

وَلاَ الطَّرَائقُ وَالأَهْوَاءُ وَالْبدعُ الـ

ضُلاَّلُ مِمَّنْ عَلَى الوَحْيَيْنِ يَنْتَقِدُ

ثمَّ ردَّ على الطبائعيين - وجهوده مشكورة -، فردَّ عليهم ردًّا عامًّا، وردَّ على بعضهم ردًّا مُفصَّلاً خاصًّا، فجاء إلى هؤلاء وقال:

وَلاَ نُصيْخُ لِعَصْرِيٍّ يَفُوْهُ بِمَا

يُنَاقِضُ الشَّرْعَ أوْ إيَّاهُ يَعْتَقِدُ

يَرَى الطَّبيعَةَ في الأَشْيَا مُؤثِّرَةً

أَيْنَ الطَّبِيعَةُ يَا مَخْذُوْلُ إِذْ وُجِدُوا؟

أنت من أوجدك؟، ثمَّ ردَّ على هؤلاء الحداثيين الذين يطالبون بتحرير الـمرأة والانسلاخ من تعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه:

وَلاَ نُصيْخُ لِعَصْرِيٍّ يَفُوْهُ بِمَا

يُنَاقِضُ الشَّرْعَ أوْ إيَّاهُ يَعْتَقِدُ

يَرَى الطَّبيِعَةَ في الأَشْيَا مُؤثِّرَةً

أَيْنَ الطَّبِيعَةُ يَا مَخْذُوْلُ إِذْ وُجِدُوا؟

وَمَا مَجَلاَّتُهُمْ وِرْدِي وَلاَ صَدَرِي

وَمَا لِمُعْتَنِقِيْهَا في الفَلاَحِ يَدُ

إِذْ يُدْخِلُوْنَ بِهَا عَادَاتِهِمْ وَسَجَا

يَاهُمْ وَحُكمَ طَوَاغِيْتٍ لَهُمْ طَرَدوا

مُحَسِّنِيْنَ لَهَا كيما تَرُوْجُ عَلَى

عُمْي الْبَصَائِرِ مِمَّن فَاتَهُ الرَّشَدُ

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَدْ أَضْحَى زَنَادِقَةٌ

كَثِيْرُهُمْ لِسَبِيْلِ الغَيِّ قَدْ قَصَدُوا

يَرَوْنَ أَنْ تَبْرُزَ الأُنْثَى بِزِيْنَتِهَا

وَبَيْعَهَا الْبُضْعَ تَأْجِيْلًا وَتَنْتقِدُ

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بِالإِفْرَنْجِ قَدْ شُغِفُوْا

بِهُمْ تَزَيّوا وَفي زَيّ التُّقى زَهِدُوا

وَبِالْعَوَائِدِ مِنْهُمْ كُلِّهَا اتّصَفُوا

وَفِطْرَةَ اللهِ تَغَييرًا لَهَا اعْتَمَدُوا

عَلَى صَحَائِفِهِمْ يَا صَاحِ قَدْ عَكَفُوا

وَلَوْ تَلَوْتَ كِتَابَ اللهِ مَا سَجَدُوا

وَعَنْ تَدَبُّرِ حُكْمِ الشَّرعِ قَدْ صُرِفُوا

وَفي الْمَجَلاَّتِ كُلَّ الذّوْقِ قَدْ وَجَدُوا

وَللشَّوَارِبِ أَعْفُوا واللِّحَى نَتَفُوا

تَشَبُّهًا وَمَجَارَاةً وَمَا اتَّأَدُوا

قالوا رُقِيًّا فَقُلْنَا لِلْحَضِيْضِ نَعَمْ

تُفْضُوْنَ مِنْهُ إِلَى سِجِّيْنَ مُؤْتَصَدُ

ثَقَافَةٌ مِنْ سَمَاجٍ سَاءَ مَا أَلِفُوا

حَضَارَةٌ مِنْ مُرُوْجٍ هُمْ لَهَا عَمَدُوا

عَصْرِيَّةٌ عَصَرَتْ خُبثًا فَحَاصِلُهَا

سُمٌّ نَقِيْعٌ وَيَا أَغْمَارُ فازْدَرِدُوا

مَوْتٌ وَسَمُّوْهُ تَجْدِيْدَ الْحَيَاةِ فَيَا

لَيْتَ الدُعَاةَ لَهَا في الرَّمْسِ قَدْ لُحِدُوا

دُعَاةُ سُوْءٍ إِلَى السَّوْأى تَشَابَهَتِ الْـ

قُلُوْبُ مِنْهُمْ وفي الإضْلاَلِ قَدْ جَهِدُوا

مَا بَيْنَ مُسْتَعْلِنٍ مِنْهُمْ وَمُسْتَتِرٍ

وَمُسْتَبِدٍّ وَمَنْ بِالْغَيْرِ مُحْتَشِدُ

لَهُمْ إِلَى دَرَكَاتِ الشَّرِّ أَهْوِيَةٌ

لَكِنْ إِلَى دَرَجَاتِ الخَيْرِ مَا صَعَدُوا

وَفِي الضَّلاَلاَتِ والأَهْوَا لَهُمْ شُبَهٌ

وَعَنْ سَبِيْلِ الْهُدَى والحَقِّ قَدْ بَلِدُوا

صُمٌّ وَلَوْ سَمِعُوْا بُكْمٌ وَلَوْ نَطَقُوا

عُمْيٌ وَلَوْ نَظَرُوا بُهْتٌ بِمَا شَهِدُوا

عَمُوا عَنْ الحقَّ صُمُّوا عَنْ تّدَبُّرِهِ

عَنْ قَوْلِهِ خَرِسُوْا في غَيِّهم سَمَدُوا

كَأَنَّهُمْ إِذْ تَرَى خُشْبٌ مُسَنَّدَةٌ

وَتَحْسَبُ الْقَوْمَ أَيْقَاظًا وَقَدْ رَقَدُوا

بَاعُوا بِهَا الدِّيْنَ طَوْعًا عَنْ تَرَاضٍ وَمَا

بَالَوا بِذَا حَيْثُ عِنْدا اللهِ قَدْ كَسَدُوا

يَا غُرْبَةَ الدِّيْنِ والمُسْتمْسِكيْنَ بِهِ

كَقَابِضِ الْجَمْرِ صَبْرًا وَهْوَ يَتَّقِدُ

المُقْبِلِيْنَ عَلَيْهِ عِنْدَ غُرْبَتِهِ

وَالمُصْلِحِيْنَ إِذا مَا غَيْرُهُمْ فَسَدُوا

إِنْ أَعْرَضَ النَّاسُ عَنْ تِبْيَانِهِ نَطَقُوا

بِهِ وَإِنْ أَحْجَمُوا عَنْ نَصْرِهِ نَهَدُوا

هؤلاء أهل السُّنَّة إذا سكت غيرهم هم يقومون ويتكلَّمون، إذا عجز غيرهم عن نصرة الحقِّ يقدِّمون أنفسهم لله تبارك وتعالى، فهذا شيء من كفاحه رحمه الله، بل في منظومته في أصول الفقه ما ترك الكلام على أصحاب القوانين الوضعيَّة والتَّشريع، فإنَّه استفتحها بهذا، حيث ردَّ فيها على هؤلاء:

الْحَمدُ لِلْعَدلِ الحَكِيمِ الْبَارِي

الْمُستَعانِ الوَاحِدِ القَهَّارِ

ذِي الْحِكَمِ الْبالِغَةِ الْعَلِيَّهْ وَالْحُجَّةِ الدَّامِغَةِ القَوِيَّهْ

قَضَى بِكَونِ مَا يَشَا فَأَبْرَمَهْ

وَشَرَعَ الشَّرعَ لَنَا وَأَحْكَمَهْ

بِأَنَّهُ الرَّبُّ بِلا مُنَازَعَهْ وَهْوَ الإِلَهُ الْحَقُّ لا نِدَّ مَعَهْ

فَبِالْقَضَا نُؤْمِنُ وَالتَّأَلُّهُ بِشَرعِهِ، فَالْخَلْقُ وَالأَمْرُ لَهُ

وَكُلُّهَا تَصدُرُ عَنْ مَشِيئَتِهْ وَعِلْمِهِ وَعَدْلِهِ وَحِكمَتِهْ

أَحْكَمَ كُلَّ الْخَلقِ بِالإِتْقَانِ

وَالأَمرِ بِالعَدْلِ وَبِالإِحْسَانِ

في التَّشريع ما فيه معه أحد، هذا الذي يقولون: شرك التَّشريع، شرك الأحكام، شرك الحاكميَّة، توحيد الحاكميَّة، أئمَّة السُّنَّة والسَّلف ولله الحمد ما أغفلوه،

ذكروه في كتبهم، في أصول الفقه أدخلوه الآن، ما هو بس في مباحث العقيدة، حتَّى في أصول الفقه أدخلوه، فله رحمه الله الجهود الكثيرة الـمشكورة، وكما قلت لكم إنَّ الكلام لا يتَّسع له هذا الوقت الـمحدَّد، آخِر ما أختم: كلامه على طائفة من الـمبتدعة مُقرِّرًا منهج أهل السُّنَّة والجماعة في حكمهم على الأخبار الصَّحيحة الثابت عن رسول الله ﷺ إذا وردت إلينا، سواء كانت أخبار آحاد أو أخبار متواترة، فـإنَّ أهل الأهواء والبدع في هذا الباب جعلوا في هذا الأصل ليردوا به السُّنن عن رسول الله ﷺ، ليتوصَّلوا به إلى ما أبرمه أهل السُّنَّة من الاعتقاد الصَّحيح، فإنَّهم يقولون إنَّ هذه العقائد أنتم بنيتموها على أحاديث آحاد، وأحاديث الآحاد لا تفيد إلَّا الظن، فاسمعوا إليه يقول:

وَالْخَبَرُ: اِعلَمْ مِنهُ ما تَوَاتَرَا وَمِنهُ آحَادٌ إِلَينَا أُثِرَا

فَذُو تَواتُرٍ بِهِ العِلمُ حَصَلْ

وَثَابِتُ الآحادِ يُوجِبُ العَمَلْ

بَلْ يُوجِبُ العِلمَ عَلَى التَّحقِيقِ

عِندَ قِيَامِ مُوجِبِ التَّصْدِيقِ

فَالْتَزِمِ القَولَ بِهِ فَإِنَّهْ بِهِ يَقُولُ كُلُّ أَهلِ السُّنَّهْ

وهكذا رحمه الله ما يأتي إلى مناسبة فيها مدخل لأهل الأهواء والبدع على أهل السُّنَّة إلَّا ويدلي فيه بدلوه ويسهم فيه بسهم، وله ردود أيضًا على القصيمي وغيره مِمَّن ذكروا في عصره رحمه الله، ولا يتَّسع المجال لذكرها، بعضها مطبوع وبعضها لا يزال مخطوط في نظمه رحمه الله.

الأسئلة:

س/ متى توفِّي الشَّيخ محمد الحكمي؟

ج/ أنا نسيت الآن، لكنَّه توفِّي قبل سبع سنوات تقريبًا رحمة الله عليه، وقد قرأت عليه جوهرة أخيه كلِّها قراءة ضبط وتصحيح رحمه الله في بيته.

س/ ثمَّ يسأل هل رأيت الشَّيخ حافظ؟

ج/ مات الشَّيخ حافظ قبل أن يتزوج والدي أمي.

{تم التفريغ والتنسيق بعمل من شبكة خير أمة}
/http://www.bestnationnw.com
للإعلام بالأخطاء المطبعية
والاستدراكات والاقتراحات
mhmodrafd4@gmail.com

للاستماع للمحاضرة بصيغة

للاستماع للمحاضرة عبر اليوتيوب

هـذا الرَّجـل طـار صيتـه وذِكـرُه في الآفـاق وشرَّق وغـرَّب، وله جهـودٌ مشـكورة وأعمالٌ مـبرورة، وآثـارٌ واضحة في الكُتب مسـطورة مزبـورة، لا يـزال النَّـاس يرتشـفون منهـا ويسـتفيدون منهـا إلى يومنـا هـذا وإلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها ...

مُحَمَّدُ بْنُ هَادِي الْمَدْخَلِيُّ

bestnationnw.com
bestnationnw.net
مكتبة خير أمة للدعوة والإرشاد
مَشْرُوعُ طِبَاعَةِ وَتَوْزِيعِ كُتُبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ
الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة